الاعتبار من شدة الحر

لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

إمام وخطيب مسجد قباء والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين

٢٢/ ذو القعدة / ١٤٤٢هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله الواحد القهار، مقلب الأجواء ما بين بارد وحار، وفي ذلك عبرة لأولي الأبصار، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وعد المتقين بالجنة وتوعد العصاة بالنار، وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله، النبي الخاتم المختار، حذَّر أمته من النار صلى الله عليه وسلم عدد أوراق الأشجار وقطر الأمطار، ما أظلم ليل أو أضاء نهار، ورضي الله عن آله وأصحابه الأطهار.

أما بعد:

فيا معاشر الأخيار، إن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويقول: ((أنذرتكم النار أنذرتكم النار أنذرتكم النار)) ويكررها ويعلو صوته الشريف صلى الله عليه وسلم، فاتقوا الله حق التقوى، واتقوا عذاب الله واعلموا أن أجسادكم عليه لا تقوى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢]

عباد الله عباد الله، إن ربنا عليم حكيم، رؤوف رحيم، ذكَّرنا بالآيات النقلية والآيات العقلية والآيات الكونية والآيات النفسية يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾ [سورة ق:٤٥] ويقول سبحانه: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [سورة الذاريات:٢٠-٢١]

ويقول سبحانه:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٤]

وإن المؤمن يا عباد الله ليتفكر في آيات الله ويتذكر ويتدبر ويعتبر، ويحُسن سيره إلى الله عز وجل فاعتبروا يا أولي الأبصار.

عباد الله عباد الله إننا نعيش في هذه الأيام شدة الحرارة، وارتفاع درجات الحرارة في بلادنا، وفي كثير من بقاع الأرض، ورأينا بأنفسنا كيف أن أجسادنا لا تطيق الحر، وأنَّا نتأذى من الحر مع وجود المخففات لشدته وربنا سبحانه وتعالى يقول:﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة التوبة:٨١]

سبحان الله كيف لا تكون نار جهنم أشد حرا وحر الدنيا كله إنما هو جزء من أجزائها، ونفس من أنفاسها، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله –أي أن نار الدنيا تكون كافية بالتعذيب– فقال صلى الله عليه وسلم: فإنها فضِّلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها)) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن شدة الحر من فيح جهنم)) وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال: قالت النار: يا ربِ أكل بعضي بعضاً فأذن لي أتنفس فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فما تجدون من برد أو زمهرير من نفس جهنم وما تجدون من حر أو حرور من نفس جهنم)) وفي رواية قال النبي صلى الله عليه

وسلم: ((اشتكت النار إلى ربها فقالت أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الصيف ونفس في الشتاء أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير))

إن تلكم النار باعدنا الله جميعا عنها يا عباد الله حامية في نفسها، وكل ما فيها شديد الحرارة، يشتد به عذاب أهلها وتعظم عليهم به الحرارة فيها يقول الله عز وجل:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ ﴾ ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾[سورة الغاشية:٢-٧]

وجوه أهل النار يا عباد الله ذليلة حقيرة، تصلى نارا قد اشتد حرها غاية الشدة، وتُسقى من عين قد غُلي ماؤها غليانا شديدا حتى بلغ الغاية ولا يأكل أهلها إلا من الضريع، وهو شجر له شوك مُر الطعم، سِمُ في البدن، لا ينفعُ جسما ولا يقطع جوعا، وإنما يشتدُ به حر الأجواف.

ومن طعامهم يا عباد الله ما يأكلونه من شجر الزقوم﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥﴾ [سورة الدخان:٤٥-٤٦]

إن شجرة الزقوم يا عباد الله شجرة عجيبة غريبة، تنبت في النار، وتُغذَّى من النار، طلُعها قبيح كأنه رؤوس الشياطين، إذا تناول أهل النار من طلعها كان كالرصاص المذاب في بطونهم، يصهر ما في بطونهم مع شدة سواده وشدة مرارته، ومع كونهم يرونه مُرا ويرون سوء منظره، ويرون ما فيه من القبح فإنهم يأكلونه، لأنه يتسلط عليهم الجوع، فيفرون إلى ذلك الطعام، فإن أرادوا تغير ذلك كان طعامهم من غسلين، وما أدراك ما غسلين، إنه من قيح

أهل النار ومما يخرج من جروحهم يخرج قبيحا نتنا، شديد الحرارة، فهو في النار ومن أجساد أهل النار، وإن سألت يا عبد الله عن شرابهم، فإنهم يشربون من عين آنية إذا أكلوا ذلك الطعام فاحترقت أجوافهم أرادوا أن يشربوا ماءا فيشربون عليه من ماذا؟ يشربون عليه من الحميم ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ۝٥٥﴾ [سورة الواقعة:٥٥]

إنهم يا عباد الله يشربون من ماء مغلي، ومع كونه مغليا فإنهم يشربون منه شرب من لا يرتوي كالإبل المريضة التي لا ترتوي من شرب الماء، إنهم يا عباد الله لا يذوقون ماءا باردا ولا شرابا طيبا، وإنما في حرارة من الماء، وإذا استغاثوا بماذا يغاثون يا عباد الله؟ إنهم يغاثون بماء كالمهل كحثالة الزيت المغلي غليانا شديدا، يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا، لا ظل لهم نافع يا عباد الله وإنما ظلهم ظل الدخان لا كريم ولا ظليل ولا يغني من اللهب، وإن سألت يا عبد الله عن ثيابهم فإنها تُقطَّع لهم من نار فيشتد بها حرهم ويعظم بها عذابهم سرابيلهم من قطران، فهم من حرارة وفي حرارة نعوذ بالله من حال أهل النار.

تلكم النار يا عباد الله أهون الناس فيها عذابا في حرارة شديدة فإن أهون الناس عذابا في جهنم لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه، وإنه ليرى نفسه أشد الناس عذابا وإنه لأهون الناس عذابا.

تلك النار يا عباد الله غمسة واحدة فيها تُنسي العبد نعيم الدنيا، يؤتى يوم القيامة بأنعم رجل كان من أهل الدنيا من أهل النار فيُصبغُ صبغةً فيها فيقال: يبن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا يا ربِ وهي مع هذا يا عباد الله عليهم مؤصدة ليس فيها أبواب تُفَتح ولا فُرَج، فهم يطوفون بينها وبين حميم آن، يتقلبون في طبقاتها في حر شديد ألا واعلموا يا عباد الله أن في القبور حراً أخبرنا عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وأخبرنا بما يطفؤه فقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور)).

عباد الله عباد الله إن من طبيعة الإنسان أنه يتخذ ما يقيه الحر من المبردات والمكيفات وما يستطيع أن يصل إليه فما بالنا يا عباد الله لا نجتهد في اتقاء النار فاتقوا الله عباد الله واتقوا النار ولو بشق تمره.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فيا من أكرمكم الله بسكنى المدينة اعلموا أن المدينة مع شدة حرارتها وشدة لأوائها هي خير لكم من الأجواء الطيبة، ومن البلدان الباردة، فاصبروا وصابروا ورابطوا يا أهل المدينة فإن العاقبة حميدة يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((تُفتح اليمن فيأتي قوم يَبُسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، وتُفتح الشام فيأتي قوم يَبُسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، وتُفتح العراق فيأتي قوم يَبُسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)).

يا من كتب الله لك أن تعيش هذه الأيام في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبر على حرها، وإياك و التسخط فإن العاقبة حميدة، يقول النبي الله عليه وسلم عن المدينة: ((لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة)).

وقد فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم ذلك فلزموا المدينة ((جاءت مولاة لابن عمر رضي الله عنهما تستأذنه في الخروج من المدينة لأن الأمر قد أشتد عليهم فقال لها: اقعدي يا لُكَع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة)).

فالصبر الصبر يا أهل المدينة ألا يُصبركم ما ترجون من أن يكون مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم شفيعاً لكم أو شهيداً لكم يوم القيامة؟ والله ثم والله إننا لفي حاجة عظيمة إلى هذا، فالله الله يا أهل المدينة اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف بدأ فيه بنفسه ثم ثنَّى بملائكته فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [سورة الأحزاب:٥٦]

وقال صلى الله عليه وسلم: ((من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا)) فاللهم صلِ على مُحَمَّد وعلى آل مُحَمَّد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وسلم تسليما كثيرا، وارضَّ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَّ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَّ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَّ عنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين، اللهم ارزقنا الصبر على اللأواء والشدة، اللهم ارزقنا الصبر على اللأواء والشدة، اللهم ارزقنا الصبر على اللأواء والشدة

وأكرمنا بشفاعة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، اللهم يا ربنا يا حي يا قيوم نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تحفظ بلادنا، وأن تحفظ ولاة أمرنا، وأن تحفظ علماءنا، وأن تحفظ جيشنا، وأن تحفظ جنودنا، وأن تحفظنا جميعا يا رب العالمين، ربنا اجعلنا من أهل الجنة، اللهم إنَّا نسألك رضوانك والجنة، اللهم يا حي يا قيوم كما جمعتنا في هذا اليوم المبارك في هذا المسجد المبارك في هذه المدينة المباركة في هذه الفريضة المباركة اجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحب في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهم لا تحرم مِنّا أحدا، اللهم لا تحرم منا أحدا، اللهم لا تحرم منا أحدا، اللهم إنَّا نعوذ بك من عذاب القبر، اللهم إنَّا نعوذ بك من عذاب النار، اللهم إنَّا نعوذ بك من عذاب القبر، اللهم إنَّا نعوذ بك من عذاب النار، اللهم إنَّا نعوذ من عذاب القبر اللهم إنَّا نعوذ بك من عذاب النار.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الأخرة حسنة، وقنا عذاب النار، والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا وسلم.

ألقيت يوم الجمعة الموافق الثاني والعشرون من شهر ذو القعدة

سنة اثنين وأربعين بعد الأربعمائة والألف

بجامع قباء بالمدينة المنورة